نظرات تحليلية في ديوان صلاح عبد الصبور

الناس في بلادي

بقلم عبد الله الشفقي

١

في مسرحية (العاصفة) ، يتحدث شكسبير عن ملك غريق فيقول «لقد تحولت عيناه الى لآلىء » . ويهتم ت. س. اليوت ـ الشاعر الانجليزي المعاصر ـ بهذه الظاهرة الفريدة فيستخدمها في قصيدته المشهورة « الارض الخراب » . وهذه العبارة التي أوردها شكسبير ترمز الى تحول الاشياء المادية الى جوهر اكثر نبلا وقدسية . تسيطر هذه الفكرة على صلاح الدين عبدالصبور في قصيدتين من قصائد الوثبة الوطنية التحريرية الاولى بعنوان « مرتفع ابدا » وفيها يناجي الشاعر العلم المصري الذي ارتفع على مبنى البحرية في بور سعيد في يونيو من عام ١٩٥٦ فيقول:

فداء تلك اللحظة المجيدة الثريه
مضى الى السكون من احبابنا الوف
(كي يجعلوا قلوبهم تلا من التراب)
(يقوم فوقه العلم)
(ليفتلوا عروقهم سارية مجيدة)
يزين فرعها العلم
(لينسجوا ايامهم ديباجة خضراء)
ترف في الهواء
كوجهك النبيل ... يا علم
(ومن بياض المقلتين حين تشخصان للسماء)
تستمطران ـ في ليالي اليأس ـ بسمة الرجاء
(هلالك الوسيم .. يا علم)

هذا في القصيدة الاولى ، اما في القصيدة الثانية « الشهيد » وهي آخر ما في الديوان من قصائد فيقول الشاعر :

يا عجبا ! كل مساء موعدي مع المضرج الشهيد
كان منديل الشفق ..
دمه
كان مدرج الهلال كفه ومعصمه
كان ظلمة المساء معطفه
وبدرة السنا ازرار سترته .

ان هذه الظاهرة الفريدة اكثر من مجرد اغراق في الوصف او الخيال . ان الشاعر يحس هنا بشيء من الحنين ازاء بعض الظواهر الطبيعية من ليل او نجوم ، من هلال او شفق فهو لا يستطيع ان يراها بمفردها كوحدة مستقلة . وانما تحمل هذه الظواهر في باطنها معاني انسانية عميقة . والعلم في القصيدة الاولى ليس مجرد رقعة خضراء يزينها الهلال وترتفع فوق سارية ، صلاح عبد الصبور يرى ما وراء هذه الاشياء ، ويلمس القوى الخفية التي اخرجتها الى حيز الوجود ، وأعطت لها دلالتها . فليس للعلم دلالة بدون تضحية اجدادنا ، وليس لليل الرهيب دلالة في اعقاب معركة بور سعيد بدون هذا الشهيد الذي لا يبارح مخيلة الشاعر ابدا . يسيطر هذا الحنين على نظرته ، فتتحول الاشياء العرضية من قلوب وعروق واحداق الى علم يخفق ، ويتحول دم الشهيد واطرافه ومعطفه الى شفق وهلال وظلمة مساء .

ووراء هذه الظواهر التعبيرية تكمن تجربة الشاعر في النظر الى الاشياء. فالشفق لا يعني بالنسبة للشاعر هذه الالوان التي تظهر وقت الغروب وانما يرتبط معناه بتجارب شعرية عميقة ، تظهر في صور وتعبيرات مختلفة ، فالشفق في قصيدة (نام في سلام) مرتبط بمعاني التضحية والجهاد ، فمحمد نبيل فتى في العشرين مات مجاهدا ، والمعلم قد مات وهو ينشد الحكمة والمعرفة .

ومن ثم يرسم الشاعر صورة خلفية لهذه المأساة فيقول في نهاية القصيدة.

وكان في وجه السما سحابة من الشفق
حمراء مثل دم
وكان في طرف المدى نوارة الحقول .

كما يرتبط الشفق في قصيدة (مرتفع ابدا) بمعاني بذل الدم فداء للوطن . فالشاعر يدعو للعلم الاخضر ويباركه قائلا :

ليستريح على وساد الشمس خدك الرقيق
الى الابد ....
لتضحك السماء لك
سحابة سخية تظللك
والقمر الزاهي يقبلك
والشفق المخضوب بالدماء يغسلك

وفي قصيدة (الشهيد) يتحدث الشاعر عن الشفق قائلا انه دم المضرج الشهيد :

يا عجبا ! كل مساء موعدي مع المضرج الشهيد
كان منديل الشفق ..
دمه

ويضع كلمة الدم في سطر مفرد لأهميتها .

هل نعتبر وجود هذه الشواهد مجرد صدفة ؟ لا ! فالشاعر يعرف متى يستخدم الصورة ، ومتى ينظر الى الشفق مرتبطا بمعاني الدم والتضحية . وحين يتحدث الشاعر عن الغرام يتخلص بالضرورة من هذا المعنى المفجع وحينئذ يرتبط الشفق بشفتي حبيبته فيقول في (أناشيد غرام) :

حبك
عصفور ينقر في بيدر
قلبي بيدر
عيناك نعاس مخمور
والخصلة ظلي من وهج من وهج الخدين
والشفتين
خط شفقي عانق خطا

يتضح من هذا كله ان (الكلمة) في يد الشاعر ـ وفي يد كل شاعر مجيد ـ لا تعني مجرد معناها، وانما تتخذ صورا مختلفة باختلاف الظروف والمشاعر . والظاهرة الفريدة في شعر صلاح عبد الصبور تتلخص وقد ينظر القارىء العابر الى هذه

في تعدد استعمالاته للكلمة الواحدة على انها مجرد تكرار ممل او ضعف في الحصيلة اللغوية ، بيد ان القراءة المتعمقة للديوان تكشف لنا عن تمتع الشاعر بثروة من التجارب يستخدم فيها الكلمة الواحدة في معاني مختلفة متباينة . وكلمة « الشفق » التي استخدمها في اكثر من موضع تدل على هذا . ولنضرب مثلا آخر ، وهو استخدامه لكلمة «البيادر» و«ينقر». لقد استعملهما الشاعر استعمالامباشرا في قصيدته الغامضة (رحلة الليل). وفي المقطع الذي يحمل عنوان (أغنية صغيرة) يغني لحبيبته قائلا :

اليك يا صديقتي اغنية صغيره
عن طائر صغير
في عشه واحده الزغيب
والفه الحبيب
يكفيهما من الشراب حسوتا منقار
ومن بيادر الغلال حبتان .

وفجأة يستخدم الشاعر هذين اللفظين استخداما فريدا في (أناشيد غرام) ، فلا يعبر بهما عن الطعام وانما عن الحب والخدر الذي يحسه المحب في قلبه فيقول في ايجاز ودقة:

حبك
عصفور ينقر في بيدر
قلبي بيدر .

ثم يذهب الشاعر بكلمة « ينقر » بعيدا بعيدا ، ويستخلص منهاأقصى ما تستطيع طاقته الشعرية ، ليعبر بها لا عن الطعام او دغدغة الحب ، وانما عن الحاجة الى الحب والوداد والذكرى فيقول عن شهيد غزة في قصيدة « سأقتلك » :

كان اسمه ... نبيل
وكنت في محبتي ادعوه بلبلي الحبيب
وكان راعف الجناح دائب الاسفار
وكان حينما يعود ينقر الوداد من فؤادي
.... حبتين ، حبتين
فحبة لجوعه ، وحبة تذكار

وتسيطر على الشاعر ظاهرة تعاقب الليل والنهار سيطرة كبيرة واضحة، فمعظم قصائده يتحدد فيها الزمان فضلا عن المكان . والزمان لا ينداح حتى يبلغ الشهور والاعوام ، وانما تحدث الاحداث الهائلة حين يقبل الليل وتتغير المشاعر ، وربما تتألق حين يشرق الفجر . وتبدو هذه الظاهرة في اولى قصائد الديوان . والليل هنا يحمل معنى الضياع ، بل ان القصيدة بأجمعها تحمل عنوان (رحلة الليل) . الظلام بالنسبة له محنة ، لانه غريب ، وفيه يمر الشاعر وصحبه بتجربة الفشل والخسارة وهي تجربة تتكرر ابدا ، ما دام هناك ليل ونهار :

صلاح الدين عبد الصبور

فحين يقبل المساء يقفر الطريق .... والظلام محنة الغريب
يهب ثلة الرفاق ، مجلس السمر
« الى اللقاء » ـ وافترقنا ـ « نلتقي مساء غد »
« الرخ مات ـ فاحترس ـ الشاه مات !
لم ينجه التدبير ، اني لاعب خطير
الى اللقاء » ـ وافترقنا ـ « نلتقي مساء غد »

وفي الليل تتجسد القسوة ويتعرض الضعفاء الوادعون للمحنة ـ فالقدر القاسي لا يهبط على الطائر الصغير الا :

ذات مساء حط من اعالي السماءاجدل منهوم
ليشرب الدماء
ويعلك الاشلاء والذماء .

بل ان المساء يسيطر على الشاعر سيطرة حزينة ، فيملي عليه نوع القصة التي سيحكيها لصديقته :

معذرة صديقتي .. حكايتي حزينة الختام
لانني حزين ..

كمايتكرر معنى الضياع في قصيدة (هجم التتار) فيرتبط الضياع بالليل، ولكنه هنا ضياع امة وضياع جيش:

في معزل الاسرى البعيد
الليل ، والاسلاك والحرس المدجج بالحديد
والظلمة البلهاء ، والجرحى ورائحة الصديد
ومزاح مخمورين من جند التتار

ثم تتجسد القسوة مرة اخرى في نفس القصيدة ، وترتبط بالليل ، فينبثق الرعب :

امي ... وانت بسفح ذاك التل بين الهاربين
والليل يعقد للصغار الرعب من تحت الجفون

والناس يموتون بالليل ، اما الشنق ـ شنق زهران ـ فيتم في رائعة النهار .. يموت الناس بالليل حيث يقبل عزرائيل ليختطف روح مصطفى ، وهو انموذج لهؤلاء الذين يعيشون في بلد الشاعر :

وفي مساء واهن الاصداء جاءه عزريل
يحمل بين اصبعيه دفترا صغير .

وفي المساء تثور الذكرى ، ويبلغ الشجن ذروته فيصرخ الشاعر :

جنت الريح على نافذتي
في مسائي
فتذكرت ابي .

هذا عن الليل ، فماذا عن فجر الشاعر ؟ يحمل الفجر بالنسبة لعبد الصبور معنى الخلاص والانعتاق ، وهو يعبر عن هذا تعبيرا ذاتيا في (رحلة الليل) فيقول :

في الفجر يا صديقتي تولد نفسي من جديد
كل صباح احتفي بعيدها السعيد
ما زلت احيا ! فرحتي .

اما التعبير الموضوعي عن معنى الخلاص والانعتاق فيجيء في قصيدته (هجم التتار) :

وانا ـ وكل رفاقنا ـ يا أم حين ذوى النهار
بالحقد اقسمنا سنهتف في الضحى بدم التتار
اماه ! قولي للصغار
أيا صغار ...
سنجوس بين بيوتنا الدكناء ان طلع النهار
ونشيد ما هدم التتار .

اما الفجر في قصيدة (أبي) فيمر بمرحلتين مختلفتين . ان الفجرمتعة لشاعرنا ، يحس فيه بالقناعة والرضى والميلاد الجديد ، ويتلون الفجر بهذا الطابع في مطلع القصيدة ، فيجلس الشاعر وأسرته وجده في غياب الاب . صحيح ان المطر ينهمر والقطط تصرخ والضباب يتراكم ،

ولكنهم لا يعبأون ، وانما يوقدون النار في المدفأة البدائية ، ويلقي الجد بنكتة يضحك لها الجميع :

كان فجرا موغلا في وحشته
ورعود قاصفة
قطة تصرخ من هول المطر
وكلاب تتعاوى
مطر يهمي وبرد وضباب
واتينا بوعاء حجري
وملاناه ترابا وخشب
وجلسنا
ناكل الخبز المقدد .
وضحكنا لفكاهه
قالها جدي العجوز
وتسلل
من ضياء الشمس موعد
فتفاءلنا وحيينا الصباح .

وفجأة يقبل رجال مكفهرون يبلغونهم نبأ الوفاة ، وفاة الاب مشجوج الجبين : في هذه اللحظة الخاطفة تتغير نظرة الشاعر الى الفجر ، وتتغير نظرتنا الى عواء الكلب ومواء القطة ، وتتخذ هذه الانطباعات مظهرا جديدا كريها ، والشاعر بحساسيته يدرك هذا ، فلا يسعه الا ان يكرر المقطع الاول ليتخذ في ختام القصيدة هذا الطابع الكريه المشؤوم .

اما الظهيرة فتنذر بالسوء وتحمل معنى الفشل وحبوط المسعى، فالتتار يهجمون على مدينتنا ويرمونها بالدمار ، وسرعان ما

رجعت كتائبنا ممزقة .. وقد حمي النهار

ويتمدد زهران المؤلم في الظهيرة حين يموت جنود الاعداء من وهج الشمس بعد ان فروا هاربين بعد صيد الحمام :

مر زهران بظهر السوق يوما
ورأى النار التي تحرق حقلا
ورأى النار التي تصرع طفلا

اما جنازة محمد نبيل ، فقدطوت شوارع المدينة

في ظهر يوم قائظ ، والناس مطرقون

٢

ولننتقل الآن الى الموضوع الهام الذي عالجه صلاح عبد الصبور في ديوانه ــ ألا وهو الناس ، الناس في بلاده . فمن هم هؤلاء الناس ؟ انهم ينقسمون في ديوانه الى فئات . فمنهم الاصدقاء ، أصدقاء الشاعر نفسه ، تجري في دمائهم فورة الشباب وهم يفكرون ويتعذبون بالفكر ، ويشربون ويمزحون ، وينقمون على الاوضاع، ويدور دولاب حياتهم رتيبا مملا ، يوما يكسبون ويوما يخسرون فمرة :

تهب ثلة الرفاق ، فض مجلس السمر
« الى اللقاء » ــ وافترقنا ــ « نلتقي مساء (غد »
« الرخ مات ــ فاحترس ــ الشاه مات !
لم ينجه التدبير ، اني لاعب خطير .. »

ومرة :

« الرخ مات ــ لا ترع ــ فالشاه ما يزال »
« والشاه بالبيادق التام » .

تعبر هذه النقلة عن الكسب بعد الخسارة، وعن وجود بقية امل، بيد ان الاصدقاء سيتقابلون بعد ذلك ، ويخسرون مرة اخرى! وحين يضحك هؤلاء

يضحكون ضحكة بلا تخوم

ضحكة عريضة جامحة لا تعرف حدودا ، ضحكة مصرية صميمة . هذه هي الواقعية الصريحة ممثلة في عبارة موجزة ، ولكنها تكتسي خمارا شاعريا رومانتيكيا حين يتحدث الشاعر عن ضحك الناس في قصيدة « الناس في بلادي » فهو يقول :

وضحكهم يئز كاللهيب في الحطب

وهي صورة غريبة تعتمد على التأثير لا على الوصف الواقعي الحي. والشباب الضائع في مصر لا يختلف عن الشباب الضائع في أي بلد ، فهو يتحدث عن الخمر والنساء

ــ « لا شيء في الدنيا جميل كالنساء في الشتاء »
ــ « الخمر تهتك السرار »

يقدم الشاعر هذه النماذج البشرية التي تحيا في بلاده بشيء من العطف، ولكن عطفه يزداد على اقرانه الشعراء الذين يحسون ويتعذبون ، ويقضون الليالي في جدال ، جدال ضائع ضيعة الشاعر في ظلمة الليل ، ويتجلى هذا في قصيدتي (السلام) و (حياتي وعود) ففي الاولى يتحدث عبد الصبور عن اقرانه وعن نفسه ، لقد كانوا عصابة من الاشقياء تتعذب (كالآلهة)، تتعذب

بالكتب والافكار والدخان والزمن المقيت
طال الكلام.. مضى المساء لجاجة.. طال الكلام

وفي الثانية يتذكر كيف انه حكى لحبيبته عن ليالي الصعاليك ورفقة الحان الذين يقرضون الشعر . ما هي الرسالة التي تقع على عاتق هذه الفئة الضائعة من اصدقاء الشاعر ؟ هذه الفئة التي تشرب وتقرأ وتفكر وتجادل ؟ انها تريد ان تصنع شيئا. هذا الشيء لم يحدده الشاعر صراحة فهو لا يعرف جيدا ماذا يريد ويريد رفقاؤه على وجه التحديد ، انهم يأملون في الخلاص وفي انبثاق النور :

واذا يولد في العتمة مصباح فريد
فاذكري
زيت نور عيوني وعيون الرفقاء
ورفاقي تعساء
ربما لا يملك الواحد منهم حشو فم
ويمرون على الدنيا خفافا كالنسم
ووديعين كأفراخ حمامه
وعلى كاهلهم عبء كبير وفريد
عبء ان يولد في العتمة مصباح وحيد

وينتقل الشاعر من هذا التعميم الغامض الى التخصيص الواضح وذلك حين يتحدث عن زهران وعن عم مصطفى ، والشيخ محي الدين ، ومحمد نبيل ، وامه ، واخيه (اخي وابن امي) ، وكلهم مصريون يمثلون الشخصية المصرية المكافحة التي تناضل ضد الاستعمار . لقد تحدث الشاعر عن نبيل في قصيدتين (نام في سلام) و (سأقتلك) :

وساءلت مشيرة عجوز
« في ذلك الصندوق من هذا الذي ثوى ؟ »
« هذا فتى مجاهد قد مات في العشرين »

اقسمت بالاخ الذي مضى .. وخلته بلا ثمن
في عامنا الماضي ، ولم يلف حول جسمه كفن
لانه احترق
على تراب « غزة » البيضاء بالطائرة احترق.
كان اسمه .. نبيل .

الشاعر يحب الحياة ، ويحس

بالاسى لانه فقد نبيل وزهران ، وبفقدهما تفتقد الانسانية قطاعات نبيلة رقيقة تحب الحياة ، والحنان ، والوداد . وحين يندب شهيدا لا يسعه الا ان يذكر ماضيه ، فقد ذكر كيف كان محمد نبيل «راعف الجناح» « ينقر الوداد » ، ولا يسعه الا ان يذكر زهران فى فورة الشباب :

ذات يوم

مر زهران بظهر السوق يوما

واشترى شالا منمنم

ومشى يختال عجبا مثل تركي معمم

فما هدفه من هذا ؟ انه يستخدم هذه الطريقة ــ طريقة استرجاع الماضي ــ حتى يعمق من شعورنا بالخسارة ، ذلك الشعور الذي بلغ ذروته فى آخر قصائد الديوان : « الشهيد »، حيث يطوف الشهيد بالمدينة حين يقبل الليل ، ويمضي خفيفا اذا ما صاح ديك الصباح فيئن الشاعر

كل مساء ينزل الشهيد فى مدينته

يبثها أشواق قلبه البريء

ويناشده

لا تله عن موعدنا .. الى اللقا

ثم ننتقل الى طابع آخر يتميز به اناس الشاعر الذين يعيشون في بلاده، ويمثل هذا الطابع الشيخ محي الدين ، وعم مصطفى ، وأم الشاعر . تسيطر على هذه الفئة النزعة الدينية التصوفية ، والتي لا تخلو من خرافة محببة . والشيخ محي الدين رجل عجوز مجذوب يجد الشاعر لذة في التحدث الى صديقته عنه

وكان فى حياته يعاين الاله

تصوري ! ويجتلي سناه

.....

وصدقيني حين مات فاح ريح طيب

من جسمه السليب

وطار نعشه، وضجت النساء بالدعاء والنحيب

اما عم مصطفى فرجل من القرية « يحب المصطفى » ويحكي للفلاحين

حكاية تثير فى النفوس لوعة العدم

وتجعل الرجال ينشجون

والرجل يتساءل فى استسلام :

ما غاية الانسان من اتعابه ؟ ما غاية الحياه ؟

هذه النزعة القدرية يصورها الشاعر فى تسامح فى هذه القصيدة ولكنه يثور عليها حين يرى انها كانت تودي بالبلاد فى كفاحها مع الاستعمار واذنابه . فالشاعر يتساءل وهو يرى الرجل المستعمر ذا الوجه الكئيب :

من اين جاء ؟

ويقول سادتنا الاماجد حين يزوون الجبين

شأن الثقات العارفين

من السماء ..

.....

هذا ابتلاء الله ! هذا من تدابير القضاء

اما النسوة فى ريف مصر فقلوبهن عامرة بالايمان والحنان . فأم الشاعر تحدثه عن العذاب والنار ، وهي برة طاهرة تهتف باسم النبي حين تعثر قدماه او ترمد عيناه ــ والمشيرة العجوز تبكي حين ترى جنازة محمد نبيل ، تبكي وهي لا تعرفه

... امرأة غريبه

لكنها من قومنا ، فى قلبها كنوز

وتعرف الحنان والاحزان

ولكنه لا ينسى هذه « اللقطة » الطريفة!.. حب الاستطلاع المتأصل فى دماء نسائنا :

وساءلت مشيرة عجوز

« فى ذلك الصندوق من هذا الذي ثوى ؟

انتهينا من حديث الشاعر عن اصدقائه وعن النماذج البشرية التي قابلها او سمع عنها . ولننتقل الآن الى حديث الشاعر عن المصريين بصفة عامة . لقد دفعه التعميم الى التحدث بلهجة خطابية مبالغ فيها ، فأهل بلاده حين يسغبون :

... يشربون من صفاء القلب

وحين يظمأون يشربون نهلة من حب

وفى موضع آخر يقول :

الناس فى بلادي جارحون كالصقور

غناؤهم كرجفة الشتاء ، فى ذؤابة الشجر

وضحكهم يئز كاللهيب فى الحطب

خطاهمو تريد ان تسوخ فى التراب

وهو يضطر الى انتهاج هذه الوسيلة الخاطئة حين يتحدث عنهم في معرض التفاخر والدفاع ، ولكنه يعود مرغما الى تقرير الواقع مستدرجا :

والسحب ما تزال

تسح ، والمخاض يلجيء النساء للوساد

ويلعب الاطفال فوق اسطح البيوت

لعبة العريس والعروس ، والتبات والبنات

*

ما زال القارىء يتساءل فى حيرة: ماذا عن القصيدة الاولى (رحلة الليل) ؟.. وهي قصيدة غامضة معقدة افتتح بها ديوانه فأعجز القارىء او كاد ؟

ويجدر بالذين يقرأون الديوان الا يبدأوا برحلة الليل. ان فهمها يتوقف على فهم بقية القصائد التي يكتظ بها الديوان . وقد تعمدت الا اشير اليها اشارات صريحة في هذا التحليل ، وانما أخذت منها بعض الامثلة فى حذر وخفية . وقراءة الديوان بعد هذا التحليل العابر لبقية القصائد سيجعل من قراءة القصيدة الاولى لذة لا تعدلها لذة . فهي جماع تجربة الشاعر فى الحب والضياع والذكريات . وهي صورة مصغرة لقصيدة ت. س. اليوت (الارض الخراب) مع وجود بعض الفوارق .

لقد استخدم اليوت طريقة الاشارة الى التراث الفكري القديم ، فأشار الى الكوميديا الالهية لدانتي ، والى العاصفة لشكسبير، واستخدم صلاح عبد الصبور هذا المنهج فى حديثه عن السندباد . وتحدث اليوت عن لعبة الشطرنج ، ولم ينس شاعرنا ان يتحدث عن الرخ والشاه ــ لا ليعبر لك عن السحر والتنبؤ بالمستقبل كما فعل اليوت ــ وانما ليقول ان الحياة تدور ، يوم لك ويوم عليك ، ففي المقطع الاول « بحر الحداد » يموت الرخ والشاه ، وفي المقطع الاخير « الى الابد » يموت الرخ « والشاه ما يزال »« والشاه بالبيادق التأم ». وفي قصيدة اليوت يتحدث الشاعر عن صورة واقعية من صور لندن ، حيث تلتقي فتاة بفتى في لحظة من لحظات اليأس والضياع والشهوة وفى قصيدتنا تتلخص الصورة الواقعية فى وصف الاطفال وهم « يلعبون لعبة العريس والعروس » ، وعن

المخاض الذي يلجىء النساء للوساد.

وفى (الارض الخراب) يحس البطل بالحنين الى الحياة فى الجبال صارخا : « هناك فى الجبال تحس بالحرية » ـ يتردد هذا الصدى فى رحلة الليل :

وفى لقائنا الاخير يا صديقتي وعدتني بنزهة
(على الجبل
اريد ان اعيش كي اشم نفحة الجبل

ويتساءل حين تشرق انوار الفجر:

صديقتي ! عمي صباحا ، هل ذكرت نزهة
(الجبل ؟

بل يتردد ذكر الجبل فى قصيدته العارمة (منحدر الثلج)

فوالهفتا ! كم احب التلال
وكم اشتهي ان ارى عاريه

ان التلال فى قصائد شاعرنا المصري تعبر عن الفرار والرغبة في الخلاص .

ولا احب ان امضي في هذه القصيدة بالذات اكثر من هذا ،حتى لا افسد على القارىء متعة التفسير والاستنباط ، فهو وحده الذي يستطيع ان يستخلص منها ما يلذ له بعدمطالعة باقي القصائد. واعتقد ان (رحلة الليل) ستثير جدلا كبيرا وتتعرض لتفسيرات كثيرة متضاربة ونحن كنقاد نرحب بهذا ، اذا ما كان الهدف سليما .

اذا ما كان الهدف البناء ـ لا الهدم !

محمد عبد الله الشفقي

القاهرة

تطلب (الاداب)

فى مدينة « فاس »

بمراكش

من مكتبة العلمي

زقاق لهجر ٥١

موطني

موطني
قمرٌ ومنجمُ معدنِ
وأهلّةٌ من أنجمِ
عبرَ الجزيرةِ ترتمي

شلاّلُ أخيلةٍ وضوءِ
من ألفِ لا شيءٍ وشيءِ
صنعَ العصورَ
ولَمْ يزلْ

هو واحةٌ بسماءِ ذاتي
أطعمتُها فلذَ الحياة
وبهالةٍ من ذكرياتِ
سيّجتُ ماضي موطني

مجذافُ اغنيةٍ رتيبهْ
فيها النقتْ سبأٌ بطيبهْ
الليلُ فيه رؤىً غريبهْ
رضعَتْ أمانينا حليبهْ
وجلاَ الهلالُ به شحوبهْ
الأمسُ ألهمَ عندليبهِ
قَرَوى لنا شدواً حروبه
كَمْ من نبيّ عاشَ فيهِ
فاضتْ عقائدُنا بفيهِ
أبقى لنا (ذكرى) صليبهْ

كَمْ كوكبٍ في الليل غافِ
يبدو بمنعطَفِ الضفافِ
وكأنّ أرملةَ السنينِ
غسلتْهُ في شطِ الحنين
شعراً كلونِ الشمسِ صافِ
رَشّقته في ليل القوافي

موطني
حمّارةٌ من ألفِ عامِ
من دنّ خابية الغَرام
طفحَتْ ابارقُ النعامِ
يسقي بها المُهَجَ الظوامي
فتسيل أفئدةُ الأنامِ
ظمأ لخمرة موطني

أسطورةٌ من ألفِ ليلهْ
وحصادُ أخيلةٍ جميلهْ
كَمْ شاعرٍ روّى غليله
لم يرتض الدنيا بديله
رضعَ الشبابَ من النجومِ
وأقامَ مملكة الحريمِ
كم شهرزاد أو دليله
فيما حواهُ وكَمْ سدومِ

موطني
أيامُه دعةٌ وتوقْ
وهوىً يعذبُه وشوقْ
أحببتُه فسقيتُ عهده
وحفرتُ في الأعصار مجدهْ
وجعلتُ قرص الشمس حدّه
كلّ النجوم لثمنَ خدّه
كلّ النجوم بموطني
تحنو عليه وتنحني

بغداد — صفاء حيدري